المخصوص بالتكليم من الأنبياء والمرسلين
"هل كلام الله مشافهة بلا واسطة في الدنيا مختص بموسى عليه السلام، أم يشركه فيه غيره؟"

الأستاذ الدكتور/ سليمان بن محمد بن علي الدبيخي
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة – جامعة القصيم
المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن صفة الكلام لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنة والعقل، كما سيأتي، وليست هي محل البحث، إنما محل البحث في فرع من فروع هذه الصفة، ودليل من أدلتها، ومتعلق بفضيلة من فضائل بعض رسل الله تعالى، وهو أن الله تعالى ثبت أنه كلم بعض رسله مشافهة من وراء حجاب، وممن ثبت أنه كلمه على هذه الصفة: موسى عليه السلام، فهل كلم غيره كذلك؟ هذا محل البحث، فالله تعالى قال: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فقوله: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾: هل هو خاص بموسى ﷺ، أم يشاركه غيره؟.

ولا يخفى ما لهذا من الأهمية، فهو متعلق بركنين عظيمين من أركان الإيمان، وهما: الإيمان بالله وصفاته، والإيمان بالرسل وما خصهم الله به من الفضائل والخصائص.

وقد وسمته بـــ «**المخصوص بالتكليم من الأنبياء والمرسلين**».

هذا وأسأل الله تعالى التوفيق والصواب، وأن يجعله خالصاً لوجه، نافعاً لخلقه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الدراسات السابقة:

لم أقف على بحث بخصوص هذه المسألة، لكن من البحوث المهمة في صفة الكلام عموما: رسالة: العقيدة السلفية في كلام رب البرية، للدكتور: عبد الله الجديع، وقد أشار إلى هذه المسألة إشارة عابرة، حيث إنها لم تكن مقصوده في البحث، ولهذا لم يذكر الخلاف فيها، بل اكتفى بذكر أحد القولين.

خطة البحث:

وقد جعلت البحث في مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث.

فالمقدمة بينت فيها أهمية البحث، والدراسات السابقة وخطة البحث.

التمهيد: بيان مذهب أهل السنة في صفة الكلام لله تعالى

المبحث الأول: مراتب التكليم

المبحث الثاني: أقسام التكليم، والعلاقة بينه وبين الوحي

المبحث الثالث: الأدلة على تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام

المبحث الرابع: الأقوال في مسألة المخصوص بالتكليم

المبحث الخامس: الترجيح.

التمهيد

بيان مذهب أهل السنة في صفة الكلام لله تعالى

مذهب أهل السنة في صفة الكلام لله تعالى هو ما دلّ عليه الكتاب والسنة، من أن الله تعالى يتكلم بكلام حقيقي –غير مخلوق– متى شاء، كيف شاء، بما شاء، بحرف وصوت لا يماثل كلام المخلوقين، وأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود[1].

ومن الدليل على أنه تعالى يتكلم بكلام حقيقي: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقوله: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق» فقال رسول الله ﷺ: «فحج آدم موسى» مرتين[2].

ومن الدليل على أن كلامه غير مخلوق: قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ووجه الدلالة: أنه تعالى فرق بين الخلق والأمر، فعطف أحدهما على الآخر، والعطف يقتضي المغايرة، وكلامه تعالى من أمره كما قال عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

فأمره غير مخلوق، لأنه عطف على الخلق، فالخلق فعله، والأمر قوله[3].

---

(١) ينظر: السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (١٣٢/١–١٦٣) والتوحيد لابن خزيمة (٣١٥/١، ٣٥٤، ٣٦٥) والعقيدة الطحاوية وشرحها لابن أبي العز (١٧٢، ١٨٥،١٧٤) والشريعة للآجري (٤٨٩/١) والإبانة لابن بطة –الكتاب الثالث– (٢١٦/١) وشرح الأصول للالكائي (٢٦٠/٢–٣٤٤) وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (١٦٥) وحكاية المناظرة في القرآن، ورسالة في القرآن وكلام الله، والصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم، كلها لابن قدامة، ولمعة الاعتقاد لابن قدامة –أيضاً– بشرح العثيمين (٧٠) ومجموع الفتاوى (٦/ ٢٣٢)و(٢٦٥/٩) و (٩٦/١٢، ٢٤٨، ٣٠٤–٣٠٥) ومنهاج السنة (٤٢٣/٥) والعقيدة الواسطية بشرح الهراس (١٨٣) والعقيدة السلفية في كلام رب البرية للجديع.

(٢) متفق عليه: البخاري في موضعين: في كتاب الأنبياء، باب: وفاة موسى وذكره بعد (١٢٥١/٣) ح (٣٢٢٨) وفي كتاب التوحيد، باب: قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ (٢٧٣٠/٦) ح (٧٠٧٧).

ومسلم: كتاب القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٤٤١/١٦) ح (٢٦٥٢).

(٣) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد (٢٢٤، ٢٢٧) والإبانة لابن بطة (١٦٦/١).

-وفي صحيح مسلم عن خَوْلَةَ بِنْتَ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةَ، قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»(١).

فالنبي ﷺ شرع في هذا الحديث الاستعاذة بكلمات الله تعالى، مما يدل على أن كلمات الله تعالى غير مخلوقة، لأنها لو كانت مخلوقة لما شرع الاستعاذة بها، لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك(٢).

ومن الدليل على أن كلامه متعلق بمشيئته تعالى: قوله جل وعلا: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وجه الاستدلال: أن قوله «كُنْ» كلامه وصفته جعله متعلقاً بإرادته، فمتى أراد تكوين شيء قال له: «كُنْ» فيكون.

-وأيضاً: أنه تعالى أخبر عن تكليمه لموسى وندائه له في مواضع عدة من كتابه، وإنما وقع ذلك بعد خلق موسى، لم يكلم موسى ولم يناده قبل أن يخلقه، بل لم يناده ولم يكلمه قبل أن يأتي الشجرة، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [طه: ١١]، فلم يناده قبل إتيانه مما يدل على أن كلامه تعالى متعلق بمشيئته وإرادته.

ومن الدليل على أن كلامه تعالى بحرف: ما رواه مسلم: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ»(٣).

ففيه أن القرآن حروف، وهو من كلام الله تعالى، فدل على أن كلامه تعالى حروف.

ومن الدليل على أنه كلامه تعالى بصوت: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَحْشُرُ اللَّهُ العِبَادَ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ»(٤).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الذكر، باب: في التَّعوُّذ منْ سُوء الْقَضَاء ودَرَك الشَّقَاء وَغَيْرِه (ح٢٧٠٨).

(٢) انظر: خلق أفعال العباد للبخاري (١٤٣) والتوحيد لابن خزيمة (٤٠١/١).

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب: فضل الفاتحة، وخواتيم سورة البقرة، والْحثّ على قراءة الآيتين من آخر البقرة، (ح٨٠٦).

(٤) أورده البخاري في صحيحه معلقاً في كتاب التوحيد، بابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده موصولاً (ح١٦٠٤٢).

-وكذا إخباره تعالى عن ندائه لموسى – عليه السلام – ولعباده يوم القيامة وذلك في عدة مواضع من كتابه، والنداء لا يكون إلا بصوت يسمعه المنادى، ومن تلك المواضع:

قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ [مريم: ٥٢].

وقوله: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيميه: «استفاضت الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة أنه سبحانه، ينادي بصوت، نادى موسى، وينادي عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال: إن الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف، ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف»[(١)].

ومن الدليل على أن كلامه تعالى لا يماثل كلام المخلوقين قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ومن الدليل على أن القرآن من كلام الله تعالى: قوله جل وعلا: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

يعني القرآن[(٢)].

والعقل يقتضي أن من صفات الكمال للرب المألوه أن يكون متكلما، ولهذا عاب الله تعالى على الذين عبدوا العجل كونهم يعبدون آلهة لا تتكلم، فقال: ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ٨٨ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾ [طه: ٨٨ – ٨٩].

وعاب إبراهيم آلهة المشركين بكونها لا تتكلم، كما قال الله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٩١ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ﴾ [الصافات: ٩١ – ٩٢].

(١) مجموع الفتاوى (٣٠٤/١٢ــ٣٠٥) وانظر (٥٢٧/٦، ٢٤٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٤٦/١١) وغيره من التفاسير.

المبحث الأول: مراتب التكليم

قال الله تعالى في سورة الشورى:﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

هذه الآية حددت طرق تكليم الله تعالى لأنبيائه ورسله في الدنيا، وأنها محصورة في ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: التكليم مشافهة بين الله تعالى ورسوله، بلا واسطة، كما حصل لموسى عليه السلام، وهذه أعلى مراتب التكليم.

قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

المرتبة الثانية: مرتبة الوحي الخاص بالأنبياء، وهذا النوع من التكليم قد يكون رؤيا منام، كما حصل لإبراهيم عندما أُري ذبح ابنه في المنام، وكما حصل لنبيا ﷺ في ابتداء الوحي.

وقد يكون إلهاماً، وهو في الآية خاص بالأنبياء، لأن من الإلهام ما يكون لغير الأنبياء، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧].

بل قد يكون لغير المكلفين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨].

المرتبة الثالثة: التكليم بواسطة الرسول الملكي، وهذا الرسول الملكي يأتي إلى الأنبياء بطرق متعددة، فقد يأتي في صورته التي خُلق عليها، –وقد حصل هذا لنبينا مرتين– وقد يأتي في صورة بشر، –وقد حصل هذا لنبينا ﷺ مراراً– وقد يأتي بطرق أُخرى.

قال ابن القيم –وهو يذكر مراتب الهداية–: «المرتبة الأولى: مرتبة تكليم الله عز وجل لعبده يقظة بلا واسطة، بل منه إليه، وهذه أعلى مراتبها، كما كلم موسى بن عمران، صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه... المرتبة الثانية مرتبة الوحي المختص بالأنبياء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣]... والوحي في اللغة هو الإعلام السريع الخفي... المرتبة الثالثة: إرسال الرسول الملكي إلى الرسول البشري فيوحى إليه عن الله ما أمره أن يوصله إليه.

فهذه المراتب الثلاث خاصة بالأنبياء لا تكون لغيرهم.

ثم هذا الرسول الملكي قد يتمثل للرسول البشري رجلا، يراه عيانا ويخاطبه، وقد يراه على صورته التي خلق عليها، وقد يدخل فيه الملك، ويوحي إليه ما يوحيه، ثم يفصم عنه، أي يقلع، والثلاثة حصلت لنبينا ﷺ»[1].

المبحث الثاني: أقسام التكليم، والعلاقة بينه وبين الوحي

قال الله تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٣ – ١٦٤].

في هذه الآية جعل الله الوحي قسيماً للتكليم، فالوحي للأنبياء، والتكليم لموسى عليهم الصلاة والسلام.

وقال الله تعالى في آية الشورى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾ [الشورى: ٥١].

وهنا جعل الوحي قسماً من أقسام التكليم، والمقصود به: الوحي الخاص، وهو: الإعلام السريع الخفي، ويكون يقظة ومناماً، ومنه الإلهام، ويكون للأنبياء وغيرهم من آحاد الناس، كما قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، وقال جل وعلا: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١]، بل يقع هذا لغير الناس، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ [النحل: ٦٨][2].

---

(١) مدارج السالكين (٢٤٦/١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٨٦/١٤) و تفسير ابن أبي زمنين (٤١٠/٢) وتفسير السمعاني (١٨٥/٣) وتفسير القرطبي (١٣٣/١٠)وأضواء البيان (٤٠٩/٢).

قال ابن كثير عند آية المائدة: «قوله: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾ وهذا أيضا من الامتنان عليه، عليه السلام، بأن جعل له أصحابا وأنصارا. ثم قيل: المراد بهذا الوحي وحي إلهام، كما قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ﴾، وهذا وحي إلهام بلا خوف، وكما قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗا﴾ وهكذا قال بعض السلف في هذه الآية: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ أي: بالله وبرسول الله ﴿وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ أي: ألهموا ذلك فامتثلوا ما ألهموا .

قال الحسن البصري: ألهمهم الله –عز وجل– ذلك، وقال السدي: قذف في قلوبهم ذلك.

ويحتمل أن يكون المراد: وإذ أوحيت إليهم بواسطتك، فدعوتهم إلى الإيمان بالله وبرسوله، واستجابوا لك وانقادوا وتابعوك، فقالوا: ﴿ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾».

وقال عند آية النحل: «المراد بالوحي هاهنا: الإلهام والهداية والإرشاد إلى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتا تأوي إليها، ومن الشجر، ومما يعرشون. ثم هي محكمة في غاية الإتقان في تسديسها ورصها، بحيث لا يكون بينها خلل».

ولا إشكال في ذلك، فالتكليم قسمان: عام وخاص:

فالعام هو: إيصال المراد بطرق متعددة، وهو الذي ذكره الله في سورة الشورى.

والخاص هو: التكليم بلا واسطة، وهو الذي ذكره الله تعالى –في حق موسى عليه السلام– في سورة النساء.

فالتكليم في آية النساء، خاص، فكان قسيماً للوحي.

وأما في آية الشورى فالتكليم عام، فيدخل فيه الوحي.

قال ابن القيم –تعليقاً على آية الشورى–: «فجعل الوحي في هذه الآية قسما من أقسام التكليم، وجعله في آية النساء قسيما للتكليم، وذلك باعتبارين:

فإنه قسيم التكليم الخاص الذي هو بلا واسطة.

وقسم من التكليم العام الذي هو إيصال المعنى بطرق متعددة»[(١)].

والوحي كذلك عام وخاص:

فالخاص، ما ذكره الله في آية الشورى، ولا يدخل فيه التكليم الخاص.

والوحي العام يشمل جميع أنواع التكليم، فيدخل فيه التكليم الخاص، كما في قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣].

فبين الوحي والكلام عموم وخصوص، والوحي العام بمعنى التكليم العام.

قال ابن تيمية: «وقد دل كتاب الله على أن اسم الوحي والكلام في كتاب الله فيهما عموم وخصوص.

فإذا كان أحدهما عاما اندرج فيه الآخر كما اندرج الوحي في التكليم العام في هذه الآية[(٢)]، واندرج التكليم في الوحي العام حيث قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾.

وأما التكليم الخاص الكامل، فلا يدخل فيه الوحي الخاص الخفي: الذي يشترك فيه الأنبياء وغيرهم.

كما أن الوحي المشترك الخاص لا يدخل فيه التكليم الخاص الكامل؛ كما قال تعالى لزكريا: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾ [مريم: ١٠] ثم قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [مريم: ١١] «فالإيحاء» ليس بتكليم ولا يناقض الكلام»[(٣)].

(١) المدارج (١/ ٢٥٠).

(٢) يعني آية الشورى.

(٣) الفتاوى (١٢/ ٤٠٢).

المبحث الثالث:الأدلة على تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام

الأدلة على تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام كثيرة في الكتاب والسنة، ولذا حكى الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم.

قال ابن بطال: «وأجمع أهل السنة على أن الله كلم موسى بلا واسطة ولا ترجمان»(١).

وقال ابن القيم:« قال الله له: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى﴾ أي: بتكليمي لك بإجماع السلف»(٢).

بل نص جمع من السلف على كفر من أنكر ذلك، وقد عقد ابن بطة باباً في ذلك في كتابه الإبانة، قال فيه: «باب: التصديق بأن الله تبارك وتعالى كلم موسى، وبيان كفر من جحده وأنكره»(٣).

ومن أدلة القرآن على تكليم الله لموسى عليه السلام:

١) قوله تعالى: ﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤٤].

٢) وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

٣) وقوله جل وعلا: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾.

٤) نداء الله تعالى كما جاء في بعض الآيات، كقوله تعالى: ﴿ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١١ – ١٤].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النمل: ٨ – ٩].

قال الشنقيطي: «والنداء المذكور في جميع الآيات المذكورة نداء الله له، فهو كلام الله أسمعه نبيه موسى، ولا يعقل أنه كلام مخلوق، ولا كلامٌ خلقه الله في مخلوق كما يزعم ذلك بعض الجهلة الملاحدة، إذ لا يمكن أن يقول غير الله: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، ولا أن يقول: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾، ولو فرض أن الكلام

(١) شرح صحيح البخاري (٥٠٨/١٠).

(٢) المدارج (١/ ٢٤٨) وانظر: فتح الباري لابن حجر (٤٨٢/١٣).

(٣) الإبانة، الكتاب الثالث، (٣٠١/٢ وما بعدها) وانظر: درء التعارض (٢١١/١٠).

المذكور قالـــــه مخلوق افتراء على الله، كقول فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، على سبيل فرض المحـــــال فلا يمكن أن يذكـــــره الله في معرض أنه حق وصواب.

فقوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾، وقوله: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، صريح في أن الله هو المتكلم بذلك صراحة لا تحتمل غير ذلك، كما هو معلوم عند من له أدنى معرفة بدين الإسلام»[(١)].

ومن أدلة السنة:

١) حديث المحاجة بين موسى وآدم عليهما السلام، وفيه قال آدم لموسى عليهما السلام –كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه–: «أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه...»[(٢)].

٢) حديث الشفاعة –في الصحيحين– وفيه أن الناس يقولون لموسى عليه السلام: «أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس»[(٣)].

٣) حديث المعراج فقد جاء في البخاري في رواية شريك عن أنس أن النبي ﷺ قال: «وَمُوسَى فِي السَّابِعَةِ بِتَفْضِيلِ كَلَامِ اللَّهِ»[(٤)].

ومما أُثر عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة، وموسى بالكلام، ومحمدا بالرؤية»[(٥)].

وليس في هذا خلاف كما تقدم، وإنما الخلاف في مشاركة غيره من الأنبياء له في هذه الفضيلة، وهو ما سأبينه في المبحث التالي بإذن الله.

---

(١) أضواء البيان (٤٣٢/٣).

(٢) البخاري في موضعين: في كتاب الأنبياء، باب: وفاة موسى وذكره بعد (١٢٥١/٣) ح (٣٢٢٨) وفي كتاب التوحيد، باب: قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (٢٧٣٠/٦) ح (٧٠٧٧).

ومسلم: كتاب القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٤٤١/١٦) ح (٢٦٥٢).

(٣) البخاري، كتاب: تفسير القرآن (ح٤٧١٢) ومسلم، كتاب: الإيمان، (ح١٩٤).

(٤) البخاري، كتاب التوحيد، (ح٧٥١٧).

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٨٩) برقم (٤٣٦) وقال الألباني: إسناده صحيح موقوف، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٢٩٨/١) برقم (٥٧٧) وابن خزيمة في التوحيد (٤٨٥/٢) برقم (٢٧٧) والآجري في الشريعة (١١١٤/٣) برقم (٦٨٦).والدارقطني في الرؤية (٣٤٥) برقم (٢٦٣).

المبحث الرابع: الأقوال في مسألة المخصوص بالتكليم

اختلف أهل العلم في هذا على قولين:

الأول: أن هذا خاص بموسى عليه السلام دون غيره من الرسل، وممن قرر هذا القول ابن خزيمة وابن بطال وابن القيم عليهم رحمه الله، وهو ظاهر كلام السعدي رحمه الله[(١)].

واستدل هؤلاء بعدة أدلة منها:

١) أن ظاهر نصوص القرآن اختصاص موسى عليه السلام بالتكليم المباشر، ومنها:

أ- قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

قال الطبري: «قال الله لموسى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، يقول: اخترتك على الناس ﴿برِسَٰلَٰتِي﴾ إلى خلقي, أرسلتك بها إليهم ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ كلمتك وناجيتك دون غيرك من خلقي»[(٢)].

وقال ابن بطة –عند هذه الآية–: «ففصل بين الرسالة والكلام، لأن جميع رسل الله وأنبيائه إنما أرسلهم الله بالوحي، فلولا ما خص الله تعالى به موسى من الكلام الذي لا ترجمان بينه وبينه فيه؛ لما قال:، ولما كان له هناك فضيلة ومزية على غيره ممن لم يكلمه الله، ولم يخصه بما خص به موسى»[(٣)].

وقال السعدي: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: اخترتك واجتبيتك وفضلتك وخصصتك بفضائل عظيمة، ومناقب جليلة، ﴿برِسَٰلَٰتِي﴾ التى لا أجعلها، ولا أخص بها إلا أفضل الخلق. ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ اياك من غير واسطة، وهذه فضيلة اختُص بها موسى الكليم، وعرف بها من بين إخوانه من المرسلين»[(٤)].

ب- قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤].

---

(١) انظر: كتب التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٩٩– ٣١٠، ٤١٨) وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٥٠٨–٥١٠) ومدراج السالكين لابن القيم (١٢٢/١، ٢٤٦ –٢٤٩، ٢٦٧) وتفسير السعدي (٣٠٢).

(٢) تفسير الطبري (٤٣٦/١٠).

(٣) الإبانة، الكتاب الثالث (٣٠٤/٢).

(٤) تفسير السعدي (٣٠٢).

ففي هذه الآية ذكر الأنبياء المشتركين في الوحي –ومعهم نبينا ﷺ– وأفرد موسى عليه السلام بالتكليم، مما يدل على اختصاصه عنهم بهذه الفضيلة.

قال ابن القيم: «الآية صريحة في أن المراد بها تكليم أخص من الإيحاء، فإنه ذكر أنه أوحى إلى نوح والنبيين من بعده، وهذا الوحي هو التكليم العام المشترك، ثم خص موسى باسم خاص وفعل خاص وهو: «كلم تكليما» ورفع توهم إرادة التكليم العام عن الفعل بتأكيده بالمصدر... وكل من له أدنى ذوق في الألفاظ ودلالتها على معانيها يجزم بأن هذا السياق يقتضي تخصيص موسى بتكليم لم يحصل لغيره»[(١)].

وقال السعدى:«وأنه كلم موسى تكليما، أى: مشافهة منه إليه لا بواسطة حتى اشتهر بهذا عند العالمين فيقال: «موسى كليم الرحمن»»[(٢)].

ج–قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤].

وقوله: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم: ٥٢].

ولم يأتِ مثل هذا في نبينا محمد ﷺ، ولا غيره من الأنبياء.

قال ابن القيم: « الله سبحانه حيث ذكر موسى ذكر تكليمه له باسم التكليم الخاص دون الاسم العام، كقوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣].

بل ذكر تكليمه له بأخص من ذلك وهو تكليم خاص، كقوله: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ فناداه وناجاه، والنداء والنجاء أخص من التكليم؛ لأنه تكليم خاص، فالنداء تكليم من البعد يسمعه المنادي، والنجاء تكليم من القرب»[(٣)].

وقال ابن خزيمة: «باب ذكر تكليم الله كليمه موسى خصوصية خصه الله بها من بين الرسل بذكر آي مجملة غير مفسرة، فسرتها آيات مفسرات.

قال أبو بكر: نبدأ بذكر تلاوة الآي المجملة غير المفسرة، ثم نثني بعون الله وتوفيقه بالآيات المفسرات:

قال الله جل وعلا: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] الآية.

(١) بدائع الفوائد (٢/٥١٢– ٥١٤).

(٢) التفسير (٢١٤).

(٣) بدائع الفوائد (٢/٥١٣).

فأجمل الله تعالى ذكر من كلمه الله في هذه الآية، فلم يذكره باسم ولا نسب، ولا صفة، فيَعرف المخاطَب بهذه الآية التالي لها، أو سامعها من غيره: أيُّ الرسل الذي كلمه الله من بين الرسل؟...

وبين في قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ أن موسى ﷺ كلمه تكليما، فبين لعباده المؤمنين في هذه الآية ما كان أجمله في قوله: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾، فسمي في هذه الآية كليمه، وأعلم أنه موسى، الذي خصه الله بكلامه.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ مفسر للآية الأولى، سمى الله في هذه الآية كليمه، وأعلم أنه موسى الذي خصه الله بالتسمية من بين جميع الرسل صلوات الله عليهم، وأعلم جل ثناؤه أن ربه الذي كلمه.

وأعلم الله تعالى في آية أخرى أنه اصطفى موسى برسالته وبكلامه، فقال عز وجل: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾...»[1].

٢) ظاهر نصوص السنة الصحيحة أيضا اختصاص موسى عليه السلام بذلك، ومن هذه النصوص:

أ- حديث المحاجة بين موسى وآدم عليهما السلام، وفيه قال آدم لموسى عليهما السلام -كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه-: «أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه...»[2].

روى ابن بطة في الإبانة عن أبي داود السجستاني أنه ذكر حديث المحاجة، وفيه: أن الله كلم موسى من وراء حجاب، ولم يجعل بينه وبينه رسولاً من خلقه، ثم قال: «فقال المعتزلة: بل أحدث كلاماً في شجرة سمعه موسى.

قال: فيقال لهم: وقد أحدث الله كلاماً لنبينا ﷺ في ذراع شاة؛ فقد استويا في الكلام»[3].

ومراده -والله أعلم- أنه إذا قيل: إن الله خلق كلاماً في الشجرة وسمعه موسى، فما الفرق بينه وبين نبينا ﷺ، فإن الله خلق كلاماً في الشاة وسمعه محمد ﷺ، أي: أن القول بذلك ينفي اختصاص موسى عليه السلام بالتكليم.

---

(١) كتاب التوحيد (١/ ٣٢٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) الإبانة، الكتاب الثالث (٢/ ٣١٠).

ب- حديث الشفاعة -في الصحيحين- وفيه أن الناس يذكرون لكل نبي يأتونه أهم فضيلة اختُص بها، فقالوا لآدم عليه السلام: «أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك».

وقالوا لنوح عليه السلام: «إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدا شكورا».

وقالوا لإبراهيم عليه السلام: «أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض».

وقالوا لعيسى عليه السلام: «أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيا».

وقالوا لنبينا محمد ﷺ: «أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر».

فلما جاءوا إلى موسى عليه السلام قالوا له: «أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس»[(١)].

فجعلوا التكليم من خصائص موسى عليه الصلاة والسلام.

قال ابن خزيمة مستدلاً من السنة على اختصاص موسى عليه السلام بالتكليم: «فاسمعوا الآن سنن النبي ﷺ الصريحة، بنقل العدل عن العدل موصولا إليه، المبينة أن الله اصطفى موسى بكلامه خصوصية خصه بها من بين سائر الرسل صلى الله عليهم وسلم» ثم ساق بسنده حديث المحاجة بين آدم وموسى عليهما السلام.

ثم أشار إلى حديث الشفاعة العظمى، وفيه: «فيأتون موسى فيقولون: أنت الذي كلمك الله تكليما»[(٢)].

ج- حديث المعراج فقد جاء في البخاري في رواية شريك عن أنس أن النبي ﷺ قال: «وَمُوسَى فِي السَّابِعَةِ بِتَفْضِيلِ كَلَامِ اللَّهِ»[(٣)].

قال ابن القيم -وهو يذكر مراتب الهداية-: «المرتبة الأولى: مرتبة تكليم الله عز وجل لعبده يقظة بلا واسطة، بل منه إليه، وهذه أعلى مراتبها، كما كلم موسى بن عمران، صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه» ثم ذكر الأدلة من القرآن على ذلك، ثم ذكر أدلة السنة فقال: «وقال له أبوه آدم عليه السلام- في محاجته: «أنت موسى الذي

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: كتاب التوحيد (١/ ٣٠١ - ٣١٠).

(٣) تقدم تخريجه.

اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده؟»، وكذلك يقول له أهل لموقف إذا طلبوا منه الشفاعة إلى ربه عز وجل.

وكذلك في حديث الإسراء في رؤية موسى عليه السلام- في السماء السادسة أو السابعة على اختلاف الرواية، قال: «وذلك بتفضيله بكلام الله تعالى»، ولو كان التكليم الذي حصل له من جنس ما حصل لغيره من الأنبياء عليهم السلام لم يكن لهذا التخصيص به في هذه الأحاديث معنى، ولا كان يسمى «كليم الرحمن»»[(١)].

د-قول ابن عباس رضي الله عنه: «إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة، وموسى بالكلام، ومحمدا بالرؤية»[(٢)].

وحاصل ما تدل عليه النصوص المتقدمة أمران:

الأول: تنص على أن الله تعالى كلم موسى مشافهة، دون واسطة -من وراء حجاب- وهذا لا خلاف فيه، كما تقدم.

الثاني: ظاهرها يدل على اختصاص موسى بذلك، وهذا موضع الخلاف.

القول الثاني: أن التكليم ليس خاصاً بموسى عليه السلام بل يشاركه فيه نبينا محمد ﷺ.

وقال بعضهم: وآدم أيضاً، فقد دل الدليل على أنه مكَّلم، كما عند ابن حبان، عن أبي أمامة أن رجلا قال: يا رسول الله أنبيٌّ كان آدم ؟ قال: « نَعَمْ مُكَلَّمٌ» قال: فكم كان بينه وبين نوح ؟ قال: « عَشْرَةُ قُرُون»[(٣)].

وجاء عند أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه، أنه قال: «قلت: يا رسول الله، أي الأنبياء كان أول؟ قال: «آدم» قلت: يا رسول الله، ونبي كان؟ قال: «نعم نبي مكلم»[(٤)]. لكنه ضعيف.

-وأما عمدة أدلة القائلين بأن نبينا محمداً -عليه الصلاة والسلام- مكلم كموسى عليه السلام فهو: حديث المعراج فقد جاء فيه -كما في طريق ثابت البناني عن أنس عند مسلم-: «فأوحى الله إلي ما أوحى، ففرض علي

(١) المدارج (١/ ٢٤٦-٢٤٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) صحيح ابن حبان (١٤ / ٦٩) وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (٢٣٧/١) من طريق ابن حبان وقال: «هذا على شرط مسلم ولم يخرجه» وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١٨/٨) وليس فيه (مكلّم)، وأورد الهيثمي في المجمع (٢١٠/٧) لفظ الطبراني، وقال: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن خليد الحلبي وهو ثقة».

(٤) المسند (٤٣٢/٣٥) ح (٢١٥٤٥) قال شعيب الأرنؤوط: «إسناده ضعيف جدا لجهالة عبيد بن الخشخاش، ولضعف أبي عمر الدمشقي، وقال الدارقطني: المسعودي عن أبي عمر الدمشقي متروك».

خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى ﷺ فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف على أمتي...»[(١)].

وفي رواية شريك لهذا الحديث -كما عند البخاري-: «فأوحى الله فيما أوحى إليه: خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى، فاحتبسه موسى، فقال: يا محمد، ماذا عهد إليك ربك؟ قال: عهد إلي خمسين صلاة كل يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك، فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل: أن نعم إن شئت...»[(٢)].

فظاهره يدل على أن هذا الخطاب -وتلك المحاورة- بين الله تعالى ونبيه ﷺ كان مباشرا دون واسطة، لا سيما طريق شريك -وإن كان متكلماً فيه- ويؤكده أن النبي ﷺ كان يلتفت إلى جبريل يستشيره...

لا سيما إذا استصحبنا خلاف الصحابة في رؤية النبي ﷺ لربه ليلة المعراج، ولم يؤثر عنهم خلاف في التكليم، فقد يُفهم منه أن وقوع التكليم مستقر عندهم، وربما قيل العكس، أي أن عدم التكليم هو المستقر عندهم.

وقد نصّ جمع من أهل العلم على أن الله كلّم محمداً -ﷺ- ليلة المعراج وفرض عليه الصلاة من غير واسطة.

قال الحافظ ابن حجر، رحمه الله -عند حديث المعراج-: «هذا من أقوى ما استُدل به على أن الله سبحانه وتعالى كلَّم نبيَّه محمَّداً ﷺ ليلة الإسراء بغير واسطة»[(٣)].

وممن قال بهذا القول: ابن تيمية وابن كثير وابن أبي العز وشيخنا ابن عثيمين عليهم رحمه الله.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب: الإيمان، (٥٦٧/٢) ح (١٦٢).

(٢) البخاري: كتاب: التوحيد، باب: قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ (٢٧٣٠/٦) ح (٧٠٧٩) وأخرجه مختصراً في كتاب: المناقب، باب: كان النبي تنام عينه ولا ينام قلبه (١٣٠٨/٣) ح (٣٣٧٧).

ومسلم: كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم (٥٧٥/٢) ح (١٦٢) ساق طرفاً منه ثم قال: «وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني، وقدم فيه شيئاً وأخر وزاد ونقص».

(٣) الفتح (٧/ ٢١٦).

قال ابن تيمية: «فإن الله كلم موسى وأمره بلا واسطة، وكذلك كلم محمدا ﷺ، وأمره ليلة المعراج، وكذلك كلم آدم وأمره بلا واسطة»[(١)].

وقال ابن كثير: «يذكر تعالى أنه خاطب موسى عليه السلام بأنه اصطفاه على عالمي زمانه برسالاته وبكلامه تعالى»[(٢)].

فظاهر كلامه أن الاصطفاء بالرسالة والتكليم متعلق بأهل زمانه، وعليه فإن هذا الاصطفاء لا يمنع المشاركة ممن كان في غير زمانه، كنبينا محمد ﷺ.

يؤكد هذا أنه في موضع آخر صرح بمشاركة نبينا ﷺ وآدم عليه السلام لموسى عليه السلام في هذه الفضيلة، فقال رحمه الله:

« ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ يعنى: موسى ومحمَّداً ﷺ، وكذلك آدم، كما ورد به الحديث المروي في صحيح ابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه»[(٣)].

وقال ابن أبي العز: «وكما أن منزلة الخلة الثابتة لإبراهيم -صلوات الله عليه-، قد شاركه فيها نبينا ﷺ... كذلك منزلة التكليم الثابتة لموسى -صلوات الله عليه-، قد شاركه فيها نبينا ﷺ، كما ثبت ذلك في حديث الإسراء»[(٤)].

وقال ابن عثيمين: «فهو ﷺ أفضل الرسل، والرسل أفضل الخلق... فإذا قال قائل: أليس الله قد اتخذ إبراهيم خليلاً، والخلة أعلى أنواع المحبة؟.

فالجواب: بلى، لكنه قد اتخذ أيضا محمدًا خليلاً، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً».

فإن قال قائل: أليس الله تعالى قد كلم موسى تكليماً؟ فالجواب: بلى، ولكنه أيضا كلم محمدًا ﷺ تكليماً، فإذا كان الله قد كلّم موسى، وموسى في الأرض، فقد كلم سبحانه وتعالى محمدًا ﷺ ومحمدٌ فوق السماوات السبع، فما من صفة كمال لنبي من الأنبياء إلا ولرسول الله ﷺ مثلها أو خير منها»[(٥)].

(١) مجموع الفتاوى (٢/٣٢٠).
(٢) التفسير (٤٧٤/٣).
(٣) التفسير (٦٧٠/١).
(٤) شرح الطحاوية (٢/ ٣٩٨).
(٥) شرح السفارينية (٥٣-٥٤).

المبحث الخامس: الترجيح

الذي لا شك فيه أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام مشافهة دون واسطة، من وراء حجاب، وهذا محل إجماع كما تقدم.

والذي يظهر –والله تعالى أعلم– اختصاص موسى عليه السلام بهذه الفضيلة – على ما جاء في القول الأول– لقوة الأدلة في هذا ووضوحها.

الجواب عن الإشكالات الواردة على بعض أدلة القول الأول –القول المختار–:

الإشكال الأول: قد يشكل على الاستدلال بقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾: أن الاصطفاء لم يكن في التكليم فقط، بل بالرسالة أيضاً، ومعلوم أن الرسالة ليست خاصة بموسى عليه السلام، فكذلك التكليم.

والجواب: إما أن يُقال: إن الاصطفاء في الآية متعلق بمجموع الأمرين: الرسالة والتكليم، وليس الرسالة وحدها، والاصطفاء بالتكليم هو المؤثر في عدم المشاركة فيما يتعلق ببقية الأنبياء.

أو يُقال: المقصود الأكبر في الآية الإشارة إلى ما اختُص به موسى على غيره من عموم الخلق، وهو التكليم، وذُكرت الرسالة لأنها فضيلة أخرى –متقدمة– لموسى عليه السلام، متعلقها الناس في زمانه، أو عموم الناس في كل زمان سوى الرسل، فالاصطفاء بالتكليم هو اصطفاء بعد اصطفاء.

ويكون معنى الآية حينئذ: كما أني اصطفيتك على الناس بالرسالة كبقية المرسلين، فإنى اصطفيتك بفضل آخر، وقدر زائد على المرسلين وهو التكليم.

ولهذا قال ابن بطال: «وفهم من قوله تعالى: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ أنه أراد البشر كلهم»[(١)].

وقال ابن القيم:« قال الله له: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ أي: بتكليمي لك بإجماع السلف»[(٢)].

الإشكال الثاني: على قول ابن عباس رضي الله عنه: «إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة، وموسى بالكلام، ومحمدا بالرؤية».

فإن الاحتجاج بهذا الأثر يشكل عليه ما ورد في إبراهيم عليه السلام، وهو أن الله اصطفاه بالخلة، فإنها قد ثبتت لنبينا ﷺ، ففي صحيح مسلم، عن جندب بن عبد الله البجلي

(١) شرح البخاري (٥٠٨-٥١٠).

(٢) المدارج (١/ ٢٤٨)، وانظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/٤٨٢).

رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا**»[(١)]، فإذا كان هذا الاصطفاء بالخلة لم يمنع المشاركة، فكذلك الاصطفاء بالتكليم.

لكن يمكن أن يُجاب عنه بجوابين:

الأول: أن يقال: يحتمل أن ابن عباس لم يكن يقصد ذكر ما اختص به كل واحد دون غيره، وإنما قصد أن يبين أهم ما لكل واحد منهم من الفضائل، وهذا لا يعني عدم مشاركة غيره له في هذه الفضيلة، وعليه فإن هذا الأثر خارج عن محل النزاع.

الثاني: أن هذا الأثر موقوف على ابن عباس، والمرفوع -مع دلالة القرآن- مقدم على الموقوف.

وعلى القول بمشاركة نبينا محمد ﷺ، وآدم عليه السلام لموسى عليه السلام في هذه الفضيلة، فإن هذا لا ينفي اختصاص موسى عليه السلام في هذه الفضيلة بأمور لا يشاركه فيها غيره، وهو مما أجاب به بعض من قال بالمشاركة عن أدلة القائلين بالتخصيص.

ومن هذه الأمور:

١-كون ابتداء الوحي إليه من الله مباشرة دون واسطة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ [مريم: ٥٢] بخلاف غيره من الأنبياء والرسل، فإن ابتداء الوحي إليهم كان بالواسطة أو برؤيا المنام....

٢-أن تكليم الله لموسى عليه السلام لم يكن مرة واحدة، بل كان في مرات متفاوته، فقد كلمه في ابتداء وحيه إليه، وكلمه بعد ذلك، كما في قوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

عن وائل بن داود في قول الله عز وجل: (وكلم الله موسى تكليما) [النساء ١٦٤] قال: «مشافهة مرارا»[(٢)].

وقال ابن القيم: «قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ وهذا التكليم غير التكليم الأول الذي أرسله به إلى فرعون، وفي هذا التكليم الثاني سأل النظر لا في الأول، وفيه أعطي الألواح، وكان عن مواعدة من

(١) صحيح مسلم: كتاب: المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، (٤٨٢/٥) ح(٥٣٢).
(٢) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٢٨٥/١) (ح٥٤٦) وابن أبي حاتم في التفسير (١١٢٠/٤) (ح٦٢٨٩).

الله له، والتكليم الأول لم يكن عن مواعدة، وفيه قال الله له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ أي: بتكليمي لك بإجماع السلف»[1].

كما أن في صفة تكليمه تعالى لموسى عليه السلام قدر زائد على غيره، قال الله تعالى: ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ ولم يأتِ مثل هذا في غيره.

مناقشة القول المرجوح.

-**أما آدم عليه السلام فإنه يشكل على كونه مكلماً** -على اعتبار صحة الحديث- عدة أمور، وهي:

١) قول آدم لموسى عليهما السلام في حديث المحاجة: «**أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه...**» فإنه يُشعر بأن هذه الخصيصة لم تكن لآدم عليه السلام، حيث جعلها آدم مما اصطُفى الله بها موسى عليه السلام.

ويمكن أن يُجاب عنه، بأن مراد آدم عليه السلام يحتمل: اصطفاك الله بالتكليم من بين ذريتي.

٢) قد يُقال: إن قوله ﷺ: «نبي مكلم» ليس صريحاً في التكليم المباشر دون واسطة، لأن التكليم درجات، كما في آية الشورى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾.

قال ابن تيمية: «هذه الآية قد جمع فيها جميع درجات التكليم، كما ذكر ذلك السلف»[2].

فيحتمل أن يكون وحياً، أو بواسطة الملك، وإذا قام الاحتمال الظاهر بطل الاستدلال، والذي ألجأ إلى هذا الاحتمال: ظواهر النصوص المشعرة باختصاص موسى بالتكليم، ومنها حديث المحاجة بين آدم وموسى عليهما السلام.

٣) ومما قد يضاف إلى أدلة المانعين قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾، فإنها في الرسل، ولم يات مثلها في الأنبياء، وآدم عليه السلام نبي وليس رسولا، والذي عليه الجمهور: أن كل رسول نبي، ولا عكس[3]، وعليه فهو خارج عن فرضية التكليم المباشر.

---

(١) المدارج (١/ ٢٤٧) وينظر: (٣٩٦/١٢، وما بعدها) والإبانة لابن بطة، الكتاب الثالث (٣١٧/٢).

(٢) الفتاوى (٣٩٧/١٢).

(٣) انظر: الشفا للقاضي عياض (٢٥٢/١)، وتفسير ابن كثير (٤٢٨/٦).

– وأما نبينا ﷺ فإن عمدة القائلين بكونه مكلماً حديث المعراج –كما تقدم– وهو وإن كان محتملاً إلا أنه ليس صريحاً في ذلك، لا سيما وظواهر النصوص تشعر باختصاص موسى عليه السلام بذلك.

ولا يقدح هذا في منزلة نبينا ﷺ فهو أفضل الرسل على الإطلاق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع»[(١)].

وأجمع أهل العلم على أن نبينا ورسولنا محمداً ﷺ أفضل الخلق بما في ذلك أولوا العزم، كما دلت على ذلك الأحاديث.

قال ابن كثير بعد ما ذكر أن أولي العزم أفضل الرسل: «ولا خلاف أن محمداً ﷺ أفضلهم»[(٢)].

وقد تواردت عبارات أهل العلم في تفضيل نبينا محمد ﷺ على جميع الخلائق.

فقد عقد الآجري رحمه الله تعالى في كتاب الشريعة باباً بعنوان: «باب: ما فضل الله عز وجل به نبينا ﷺ في الدنيا من الكرامات على جميع الأنبياء عليهم السلام»[(٣)].

وعقد النووي رحمه الله تعالى – في شرحه لمسلم – باباً بعنوان: «باب: تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق»[(٤)].

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «خيار ولد آدم خمسة: نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد ﷺ وخيرهم محمد ﷺ، وصلى عليهم أجمعين وسلم»[(٥)].

(١) أخرجه مسلم: في كتاب الفضائل، باب: تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق (٤٢/١٥) ح (٢٢٧٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٧٧/٣).

(٣) الشريعة (١٥٥٢/٣).

(٤) مسلم بشرح النووي (٤٢/١٥).

(٥) رواه البزار كما في كشف الأستار (١١٤/٣) ح (٢٣٦٨) وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٥/٨): رجاله رجال الصحيح، ورواه الحاكم – أيضاً – في مستدركه بمعناه (٥٩٥/٢) ح (٤٠٠٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد وإن كان موقوفاً على أبي هريرة، ووافقه الذهبي.

الخلاصة:

١. النصوص واضحة وصريحة في إثبات تكليم الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام مشافهة دون واسطة، وذلك أحد الطرق التي كلم الله تعالى بها من شاء من خلقه، كما ذكر الله ذلك في آية الشورى.

٢. ظواهر النصوص تدل على اختصاص موسى –عليه الصلاة والسلام– بهذا التكليم، ولذا عرف بـــ«كليم الرحمن».

٣. ظاهر حديث المعراج أن الله تعالى كلم نبينا ﷺ، وقد احتج به بعض أهل العلم على ذلك، لكنه ليس نصاً صريحاً في ذلك.

ويشكل عليه أمران:

الأول: النصوص المشعرة باختصاص موسى بهذه الفضيلة.

الثاني: أن الله تعالى لما ذكر الأنبياء في سياق واحد –في سورة النساء– فرق بينهم في طريق الوحي، فعبر عن طريق الأنبياء –وفيهم نبينا محمد ﷺ – بالوحي، وعبر عن طريق موسى ﷺ بالتكليم، مما يدل على انفراده عنهم بهذا الطريق، كما تقدم في أدلة القول الأول.

٤. جاء النص صريحاً في كون آدم عليه السلام «نبي مكلم».

لكنه –على اعتبار صحته– يشكل عليه ثلاثة أمور:

الأول: قول آدم لموسى عليهما السلام في حديث المحاجة: «**أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه...**» فإنه يُشعر بأن هذه الخصيصة لم تكن لآدم عليه السلام.

الثاني: قوله ﷺ: «نبي مكلم» ليس صريحاً في التكليم المباشر، دون واسطة، لأن التكليم درجات، كما في آية الشورى، فيحتمل أن يكون وحياً، أو بواسطة الملك، وإذا قام الاحتمال الظاهر بطل الاستدلال، والذي ألجأ إلى هذا الاحتمال، ظواهر النصوص المشعرة باختصاص موسى بالتكليم.

الثالث: قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾، فإنها في الرسل، ولم يأت مثلها في الأنبياء، وآدم عليه السلام نبي وليس رسولا.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له تعالى على ما يسر وأعان ووفق من إتمام هذا البحث المتواضع، الذي أسأل الله تعالى أن يجعله نافعاً، وللحق والصواب موافقاً، وقد خرجت فيه بجملة من النتائج، ومنها:

-أن الله تعالى يتكلم بكلام حقيقي -غير مخلوق- متى شاء، كيف شاء، بما شاء، بحرف وصوت لا يماثل كلام المخلوقين، وأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

-أن آية الشورى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

حصرت طرق تكليم الله تعالى لعباده في الدنيا في ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: التكليم مشافهة بين الله تعالى ورسوله، بلا واسطة، كما حصل لموسى عليه السلام، وهذه أعلى مراتب التكليم.

المرتبة الثانية: مرتبة الوحي الخاص بالأنبياء.

المرتبة الثالثة: التكليم بواسطة الرسول الملكي.

- أن التكليم قسمان: عام وخاص:

فالعام هو: إيصال المراد بطرق متعددة، وهو الذي ذكره الله في سورة الشورى.

والخاص هو: التكليم بلا واسطة، وهو الذي ذكره الله تعالى -في حق موسى عليه السلام- في سورة النساء.

فالتكليم في آية النساء، خاص، فكان قسيماً للوحي.

وأما في آية الشورى فالتكليم عام، فيدخل فيه الوحي.

- أن الوحي كذلك عام وخاص:

فالخاص، ما ذكره الله في آية الشورى، ولا يدخل فيه التكليم الخاص.

والوحي العام يشمل جميع أنواع التكليم، فيدخل فيه التكليم الخاص، كما في قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣].

فبين الوحي والكلام عموم وخصوص، والوحي العام بمعنى التكليم العام.

- أن الإجماع منعقد على أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام، بلا واسطة ولا ترجمان.

-أن العلماء اختلفوا في مسألة المخصوص بالتكليم الخاص على قولين:

الأول: أن المخصوص في ذلك موسى عليه السلام فقط.

القول الثاني: أن نبينا محمداً ﷺ وآدم عليه السلام يشاركان موسى في هذا التكليم.

-أن القول المختار – والذي تدل عليه ظواهر النصوص المتعلقة بموسى عليه السلام– اختصاص موسى بالتكليم الخاص الذي يكون مشافهة دون واسطة.

-أن الإجماع منعقد على أن نبينا محمداً ﷺ أفضل الرسل على الإطلاق، لدلالة النص على ذلك.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

فهرس المراجع

- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: للإمام أبي عبد الله عبد الله بن محمد بن بطه العكبري، تحقيق: رضا بن نعسان معطي، دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
- البداية والنهاية: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- بدائع الفوائد: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، اعتنى به: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للشيخ عبد الرحمن السعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
- حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة: للإمام ابن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الله يوسف الجديع، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية،١٤١هـ.
- العقيدة الواسطية: شرح الشيخ محمد خليل هرَّاس، اعتنى به: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.
- درء تعارض العقل والنقل: لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
- الرؤية: للإمام الدارقطني، تحقيق: إبراهيم العلي، أحمد الرفاعي، مكتبة المنار، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- رسالة في القرآن وكلام الله: للإمام ابن قدامة المقدسي، تحقيق وتعليق: د.يوسف السعيد، دار أطلس الخضراء، الطبعة الأولى،١٤٢٤هـ.
- السنة: للإمام أبي عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: د. محمد بن سعيد القحطاني، رمادي للنشر، الدمام، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.
- السنة: للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحَّاك، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ.

- شرح العقيدة السفارينية = الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية: للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ.
- شرح العقيدة الطحاوية: للإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، تحقيق: د.عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- الشريعة: للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي عياض، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم: للإمام ابن قدامة المقدسي، تحقيق وتعليق: د. محمد الخميس، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: لعلي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.
- صحيح البخاري: ضبطه ورقمه واعتنى به: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، اليمامة، دمشق، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- عقيدة السلف وأصحاب الحديث: للإمام أبي عثمان إسماعيل الصابوني، د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري: للحافظ أحمد بن علي بن حجر القسطلاني، تصحيح وتحقيق وإشراف: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز،الناشر: دار الفكر.
- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة: للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة: بشرح الشيخ محمد العثيمين، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي.
- المستدرك على الصحيحين: للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل: للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق مجموعة من المختصين، بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
- المعجم الكبير: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حققه: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الثانية.
- منهاج السنة النبوية: لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: د. محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- شرح صحيح مسلم: لمحيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، راجعه: خليل الميس، الناشر دار القلم.
- الرد على الزنادقة والجهمية: للإمام أحمد بن حنبل، دراسة وتحقيق: دغش العجمي، دار الإمام البخاري، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لأبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل. لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، السعودية – الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
- خلق أفعال العباد: للحافظ محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. عبد الرحمن عمير، دار المعارف السعودية – الرياض.
- تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.
- تفسير القرآن. للإمام السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م
- تفسير القرآن العزيز: لابن أبي زَمَنِين المالكي، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، مصر– القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للإمام محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، دار هجر.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
- شرح صحيح البخارى لابن بطال: تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
- العقيدة السلفية فى كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية: عبد الله بن يوسف الجديع، دار الإمام مالك، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥م.